

# الأديب و المفكر الراحل رمضان عبد الرحمن لاوند

عودة إلى الماضي



## الحلقة الرابعة والسبعون

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.....

مساعد: أيها الأخوة مرة أخرى نعود إلى الحديث عن المحتوى الإنساني في دعوة الإسلام. وهي عودة نقصد بها إلى استيفاء الجانب الأخير من جوانب هذا البحث. ورجائي أن يكون هذا اللقاء مناسبة لإتمام الرحلة والخروج منها إلى رحلة جديدة في عالم الإسلام.

جاسم: أوليس أنك والأستاذ سالم قد تحدثتما عن الطابع الإنساني الشامل وعن الكرامة الإنسانية وحرية الإنسان في هذا الدين العظيم؟ فماذا بقي من الموضوع لاستيفاء البحث فيه؟

سليمان: ولعل الأجدى في هذه المناسبة أن ننتقل إلى قضية أخرى من القضايا التي تشغل بال الناس في هذا العصر..

مساعد: صحيح أننا تحدثنا عن الطابع الإنساني والكرامة الإنسانية في دعوة الإسلام.. لكننا مع ذلك لم نوف هذا الجانب من الموضوع حقه.. ولعله أن يكون من أخطر الجوانب التي يجب أن تناقش في مثل هذا اللقاء..

سالم: وقد تتساءلون أيها الأخوة: ما عسى يكون هذا الجانب الأخطر؟ وقبل أن تتعرفوا إليه أقول لكم: إن أخي الأستاذ مساعد لا يلقي الكلام على عواهنه بل يدير الفكرة في رأسه ثم يدير الحديث عنها مرة بعد مرة وأخيراً يطلقها أمامكم.

جاسم: إنكما تثيران الفضول بمثل هذا القول!.

سليمان: نحن بانتظار ما تعдан بتقديمه من الشرح والتفسير.

مساعد: حسن أيها الأخوة.. أنتم تعلمون دون ريب بأن الإنسان مفطور على حياة الجماعة.. وليس هذا وحسب فإن كثرة حاجاته وتنوع أذواقه تفرض عليه أن يعايش عدداً من الناس يتزايد بتزايد هذه الأذواق وكثرة تلك الحاجات.. حتى أن القرآن الكريم قد أشار إلى فطرة الجماعة عند الإنسان حين قال عز من قائل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا" ..

سالم: الآية الكريمة كما ترون صريحة واضحة في أن الله قد بث من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساء. فاتقوا الله الذي تستعينون به في تعاونكم واياكم أن تقطعوا الأرحام. وهل تعني صلة الرحم غير تدعيم الحياة الجماعية التي وسعت الحضارة المتطورة آفاقها فجعلتها أكثر غنى وخصوصية عن طريق الأصهار والمصالح المتبادلة؟

جاسم: كل هذا صحيح.. لكن ما هو الغرض من هذه المقدمة التي تفضلتما بها؟

**سليمان:** وأضيف إلى ما قاله أخي جاسم أن هذه الظاهرة التي يقرها كتاب الله بل يقرها تحقيقة بشرية أساسية هي ظاهرة مسلمة من قبل العارفين بأسرار الحياة المجتمعية.

**جاسم:** وقد صدقها القرآن الكريم في قوله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" لكننا نبقى أمام السؤال الذي ينتظر الجواب. ماذا وراء تقرير هذه الظاهرة؟

**مساعد:** أحسنتما إذ عدتما إلى التساؤل مرة أخرى. الجواب يجده الراغب فيه حين يحاول أن يعرف طبيعة الأواصر والعلاقات التي تشد الناس بعضهم إلى بعض. وهذه الأواصر هي التي تعين المستوى الذي يرتفع المجتمع إليه.

**سالم:** وأضيف إلى ما قاله الأستاذ مساعد للتوضيح فأقول: هذه كثيرة متباينة فمنها آصرة النسب أو آصرة الجنس أو آصرة الأرض أو آصرة المصالح والمنافع.

**سليمان:** هذا صحيح وأين الضير في هذه الأواصر؟

**مساعد:** الضير فيها يا سليمان أنها تعبير عن عصبية ذات مستويات هابطة.. فمن جمعت آصرة النسب واجه الفرقة حين تنتفي هذه الآصرة. وإذا فهي آصرة ضيقة فقيرة المحتوى لأنها مهما اتسعت لا تستجيب لكل حاجات المرء ولا تحقق قيم العدالة. إذ العدالة فوق النسب وأعلى منه.

**جاسم:** لكن التاريخ البشري كله تقريباً قد صنعت فيه حضاراته في ضوء هذه الأواصر والعلاقات فكيف نقضي عليها؟

**سالم:** اسمع يا جاسم.. إن مأساة البشرية حتى ظهور الدعوة الإسلامية قد نشأت بسبب العصبية المترتبة على هذه العلاقات.. أوليس أن الذين يتعصبون للجنس أو للنسب أو للأرض أو للمصالح وحسب هم وراء الظلم والتمييز اللذين تشكو البشرية منهما؟ ولذلك جاء الإسلام فأعلن أنه لا لون ولا جنس ولا نسب ولا أرض ولا مصالح ولا منافع يمكن أن تجمع الناس على الخير والحق أو يمكن أن تغرس في نفوسهم روح العدالة.. إنها عصبية تتعارض مع الطابع الإنساني وبالتالي مع كل القيم الخلقية والاجتماعية التي تخضع البشرية كلها لميزان واحد هو ميزان الحق ولمقياس واحد هو مقياس العدل.

**سليمان:** حسن جداً.. فما الذي يمنع الإنسان أن يتمسك بأواصر النسب أو الجنس أو الأرض أو غيرها في الوقت نفسه الذي يتمسك فيه بالعبقيدة السماوية؟

**مساعد:** المانع واضح وكبير جداً.. إنه التناقض التام بين العصبية لهذه الأبعاد والعلاقات المادية من ناحية وبين الولاء لعبقيدة الوجدانية والالتزامات الناجمة عنها.

**جاسم:** الواقع أن الناس أحبوا أوطانهم وعبدوا ربهم الواحد في الوقت نفسه.

**سالم:** ومن قال لك يا جاسم: إن حب الوطن يتعارض مع عبادتنا الصادقة لله عز وجل؟! إن المحذور هو العصبية العمياء للأرض أو لفريق من الناس. إن العدل فوق العصبية.. وإن علاقة العبقيدة هي التي تحقق وحدة الثقافة وتعين وحدة القيم والأخلاق. وهي بالتالي أعلى آصرة يمكن أن يرتفع إليها الإنسان. ولا تنسوا أيها الأخوة أن آصرة العبقيدة هي التي تعطي المجتمع الإسلامي طابعه الإنساني الحقيقي..

**سليمان:** هل يعني هذا أنكما تناديان بالأمّة الواحدة في ضوء العقيدة الواحدة بغض النظر عن اختلافات اللغات والأجناس والعادات والألوان والمصالح؟

**مساعد:** نعم.. وأؤكد لك يا سليمان أن العقيدة الواحدة التي تتحقق بها الأمّة الإسلامية الواحدة لا تؤثر فيها ولا تفسدها اختلافات اللغات والأجناس والعادات والألوان.. أما المصالح فإنّ العدالة هي التي تضمن توزيعها على أصحاب الحقوق بغض النظر عن اختلاف أرضهم وألوانهم وأجناسهم ولغاتهم.

**سالم:** ولا تنسوا أيها الأخوة أن معضلة الحضارات البشرية منذ كانت أول حضارة حتى اليوم ناجمة عن ازدواج العصبية عند الإنسان وبالتالي عن هبوطه بمفهومات العدل والمساواة والأخوة في طابعها الإنساني الشامل إلى مستويات هابطة تضيق فيها حدودها فإذا بها في خدمة العصبية الضيقة والمصالح الآنية التي تعمى عن حقوق أصحاب العصبية والمصالح الأخرى. وبذلك لا يعود العدل من أجل الإنسان بل من أجل المنتمين إلى عصبية معينة.

**جاسم:** هذا كلام منطقي من الناحية النظرية.. لكن ألا يرى الأستاذان مساعد وسالم أن العلاقات والعصبية التي تحدثت عنها هي أقرب إلى غرائز الإنسان وفطرته العميقة؟ أوليس أن ارتباط المجتمعات بها في كل العصور دليل على غلبتها وفعاليتها وتجاوبها مع الفطرة؟

**سليمان:** إنّ ما قرره أخي جاسم دليل واضح على أن الميول الطبيعية عند الإنسان هي تلك التي تتجاوب مع تلك الفطرة التي تحدث عنها..

**مساعد:** أيها الأخوة أعيدكم أن تنسوا المنطلقات الأساسية لهذا الدين العظيم الذي أنعم الله علينا. وأربأ بكم أن تعتبروا الأخطاء التي ارتكبتها الأجيال وقواعد وموازين توزن بها وجوه الحق والباطل.. فلو كان ما تعتبرانه طبيعياً هو طبيعي في الواقع لما ارتفعت في كل حضارة بل في كل جيل أصوات قوية تنادي بإنسانية العدالة إنسانية المساواة والأخوة والحرية وغير ذلك..

**سالم:** وأضيف إلى ما قاله أخي الأستاذ مساعد فألفت نظركم جميعاً إلى أن المعركة التي يخوضها الإنسان على امتداد تاريخه هي معركة بين الانطواء الذي تفرضه الغرائز العمياء والفطرة غير السوية وبين الانفتاح الذي تنادي به عقيدة الوحدانية. إن كل بناء اجتماعي لا يكون على صورة العقيدة التي يؤمن بها ناس المجتمع هو بناء متناقض في تكوينه متمزق في أجزائه.

**جاسم:** هذا كلام صحيح إذا نظرنا إليه بمقياس الفكر الخالص.. لكن المشكلة أن نظام الطبيعة وحيات الحيوان والنبات بل نظام الكون كله تقوم كلها على غير هذا الأساس. والإنسان كائن طبيعي.

**سليمان:** وإذا كنتم توافقان على هذا الرأي إذاً فإنّ ما جرى ويجري حتى اليوم هو الواقع الذي يتفق مع نظام الطبيعة وقوانين الخلق.

**مساعد:** هنا أيضاً تنسيان دور الإنسان.. الإنسان لا يتصرف في ضوء قوانين الطبيعة الصارمة لأن الطبيعة لا تختار ولا تتصرف بجرية وهي غير مسؤولة، أما الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي يحمل أمانة الإيمان ومسؤولية الاختيار.. وفكرته ليست فطرة الحيوان والطبيعة والنبات، إنها فطرة خاصة به.. فطرة الكائن الذي يستطيع أن يفعل متى شاء وألا يفعل متى شاء وقد جاءت العقيدة الإسلامية لتقول له ماذا يستطيع أن يفعل..

سالم: ومن هنا قال الله عز وجل للمؤمنين في كل أرض وفي كل جيل من الناس من كل شعب وقبيلة من لدن نوح عليه السلام حتى يوم محمد صلى الله عليه وسلم. لقد قال لهم: " إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ " أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهاية.....